

## موقع فلسطين في الحراك الشعبي العربي

يحيى يخلف

في وصف أحوال ما سميناه الربيع العربي، نقف وقفة تأمل ونبحث عن حصاد عامين فأكثر، فلا نجد ما يسر البال أو ما يدعو الى الاعجاب والاطمئنان. الجماهير التي كسرت حاجز الخوف وصنعت الثورة بحناجرها وسواعدها وصدورها العارية وانتصرت على الديكتاتور ومنظومته الأمنية، رسمت في فضاء العالم أحلامها واشواقها وحنينها وانينها وصرخت صرخة حرية دوت آفاقها حتى آخر المدى، وصنعت ثورة لأنها تمردت على واقع فاسد، فاستحقت ان يطلق على فعلها ربيع. لكن هذه الثورات التي اندلعت في دول عربية ذات تأثير سرعان ما ركبت موجتها قوى سياسية منظمة وذات تاريخ في المعارضة تنتمي الى الإسلام السياسي، وقوى أخرى وطنية ليبرالية محدودة التأثير ولا تمتلك امتدادا جماهيريا. وهكذا عبأ الإسلاميون الفراغ الناجم عن غياب قوى قومية أو يسارية أو ليبرالية تمتلك الخبرة أو الحاضنة الجماهيرية الواسعة، وهيمنوا على السلطة واستفردوا بها، وأقصوا الأحزاب والتنظيمات الأخرى، متسلحين بديمقراطية صندوق الاقتراع التي جعلت من أحزابها أحزاب اغلبية، من خلال فهم أحادي قاصر وانتقائي يستبعد ما في الديمقراطية من مضامين أخرى كالتعددية والحريات العامة والدولة المدنية ورعاية الأغلبية لرأي الأقلية، خاصة في قضايا سيادية كال دستور مثلا.. فعاد الشباب الى الميادين والشوارع من جديد في غياب الاستقرار والأمن، وفي غياب فعل منظم ويحاور، ما أحدث الفوضى، وحدث هزة في السلم الأهلي، واطال مسافة الوصول الى تحقيق الأهداف، وتصحيح المسار، واستكمال بناء الدولة الحديثة.

وزاد الطين بلة ازدياد التيارات الاسلامية السياسية من سلفية وجهادية وتكفيرية، خصوصا في

سورية حيث برزت مجموعات مسلحة ينتمي بعضها لتنظيم الاخوان، وبعضها الآخر الى تنظيم القاعدة (جبهة النصرة)، ما يهدد بمصير مجهول لدولة كبرى، هي دولة المركز في بلاد الشام. يتعين على الأحزاب الإسلامية التي حازت على أغلبية في صناديق الاقتراع أن تراعي مطالب الأقلية، وأن تقلع عن الاستئثار والهيمنة على السلطة، وأن تعي أن الثورة صنعتها الجماهير، وانها وصلت الى الحكم بفضل هذه الجماهير التي رفعت شعار الوحدة الوطنية الى جانب شعار إسقاط الديكتاتور، ما يلزمها بالمحافظة على هذه الوحدة التي تعني وحدة الشعب بكل مكوناته وتياراته، وبناء دولة تكون دولة كل مواطنيها، أي دولة مدنية ديمقراطية تقوم على التعددية والتداول السلمي للسلطة. يحтар المتأمل للمشهد في وصف الوضع الراهن للثورات العربية ويتساءل: هل ينساق الى تبني وصف البعض للمشهد بالخريف لا الربيع؟

وهل يسلم بالأمر الواقع ويفقد الأمل ويعتبر أن قدر هذه الأمة أن تنتقل من ديكتاتورية الظلم والفساد الى ديكتاتورية الشموليين التي لا تقل رهبة عن ديكتاتوريات أخرى كديكتاتورية البروليتاريا؟

وهل تمر المنطقة العربية بمرحلة شبيهة بمرحلة عصور الانحطاط حيث انعدام الوزن، وتجادب القوى الاقليمية والدولية، وسيادة القوى الاقليمية والاحلاف الاستعمارية، وهيمنة تركيا ويران واسرائيل على انقسام وتراجع العرب، واستبدال المصطلح من وطن عربي الى شرق أوسط؟ وهل ينكفئ المفكرون والمثقفون ويستسلمون للاحباط وتضيع جهودهم التنويرية وجهود تراث تنويري نهضوي سطره مئات المفكرين على امتداد القرن الماضي، من حداثة رفاة الطهطاوي، الى الاصلاحيين كمحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي والأفغاني، الى الليبراليين والعقلانيين كطه حسين وسلامة موسى، وغيرهم العشرات في العقود الاخيرة من القرن العشرين؟

وهل نحلم بالتغيير، وتكون العلاقة بين التيارات الإسلامية والقومية والليبرالية والعلمانية علاقة حوار وتوافق، أم تغلق الأبواب وتظل العلاقة علاقة تصادم واستنزاف وتهديد للسلم الأهلي؟ اسئلة مشروعة وقد تبدو في ظاهرها مخيفة ومرعبة، وقد تبدو سوداوية ومبالغاً بها، ولا تستشرف المستقبل، لكنها اسئلة تحفزنا لبحث الكتاب والمفكرين على القيام بدورهم واعادة الاعتبار لقيم الحوار والفكر التنويري وفرض وجودهم في المشهد، وتأكيد قوة الثقافة في السياسة. حان الوقت لبروز ظاهرة المفكرين كصناع للرأي العام وصناع لثقافة الحوار، فنحن امام مفترق طرق: إما أن نكون أمة لها موقعها تحت شمس العصر، أو لا نكون، إما أن نكون على ابواب نهضة فكرية ومعرفية، أو ان تتسع فجوتنا الفكرية وتخلفنا المعرفي.. إما أن ننجز استقلالنا السياسي والاقتصادي

والثقافي والاجتماعي، أو ان تتجرأ التدخلات الخارجية على المضي قدما في محاولات الهيمنة والاحتواء والتهميش.

ونحن الفلسطينيين الراضين تحت الاحتلال نتأثر بكل ما يجري، فانحصار الشعوب العربية في تحقيق حريتها وعدالتها وكرامتها ودولتها المدنية الديمقراطية الحديثة، وانجاز استقلالها من التبعية السياسية او الاقتصادية او سواها، انما يشد أزرنا، ويعزز صمودنا ولا يتركنا وحدنا على موائد اللثام، فالقضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية، وهي لب الصراع في الشرق الأوسط، وكفاح الشعب الفلسطيني هو جزء من كفاح الشعوب العربية، ومن كفاح حركة التحرر العربية من أجل الحرية والوحدة والتقدم، والمشروع الصهيوني الاستيطاني الذي يمثل قاعدة عسكرية لمصالح واستراتيجيات الولايات المتحدة وحلفائها في الهيمنة على المنطقة يشكل خطرا على الأمن القومي العربي، وعلى أمن مصر وبلاد الشام والعراق بشكل خاص.

في العامين المنصرمين، انشغلت البلدان العربية بقضاياها الداخلية، وتراجع اهتمامها بالقضية الفلسطينية، فاستغلت اسرائيل هذا الوضع لتتغول على الشعب الفلسطيني، وتذهب بعيدا في عمليات الاستيطان، والقتل والاعتقال، والقيام باجراءات تثبيت الامر الواقع لهويد القدس، وتغيير طابعها الجغرافي والديمقراطي، والمس بمقدساتها وتراثها الحضاري والانساني، وبذلك فإن المتغيرات والثورات العربية التي دخلت في اشكاليات وصراعات داخلية انعكست سلبا على الاوضاع داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة.

انّ الوضع في فلسطين هو محضلة للوضع العربي، بل هو صورة مصغرة لسمات النهوض أو الكبوة، للتضامن او الانقسام في البلدان العربية، وسمات القوة او الضعف في العالم العربي، ففلسطين كانت وستظل تؤثر وتتأثر بمحيطها القومي، فاذا قوي قويت واذا ضعف ضعفت، ومهما قيل أو قد يقال فان القضية الفلسطينية قضية العرب، والشعب الفلسطيني هو رمح الأمة في كفاح طال ولن يتوقف الى أن يحقق اهدافه.

وانطلاقا من ايمان مؤسسة عرفات برسالة الحرية التي أطلقها عرفات في الفاتح من يناير لعام ١٩٦٥، وانطلاقا من ايماننا بوحدة المصير القومي، فقد حملت مجلتنا (أوراق فلسطينية) رسالة الحرية.. رسالة فلسطينية بأفاق عربية، لذا التزمت المجلة بالقاء الضوء على مستجدات القضية الفلسطينية، ومواكبة المتغيرات في الدول العربية التي تشهد حراكا شعبيا وموقع فلسطين في هذا الحراك من خلال الدراسات الفكرية المعمّقة، والمتابعات الثقافية الجادة التزاما منا بالدور الذي يقوم به الفكر والمفكرون، والثقافة والمثقفون، امتدادا لدور قام به مفكرو عصر النهضة على مدى

قرن من الزمن.. خصوصا انّ أحلام ذلك الرعيل في الحرية والديمقراطية والدولة المدنية ذات الدستور العصري، ونظام الحكم الرشيد، والإصلاح الديني، والمواطنة، والوحدة الوطنية، والعدالة الاجتماعية، والكرامة الانسانية وسائر القيم والاهداف السامية، خصوصا ان أحلامهم هذه تجد الآن فرصتها للتطبيق، وتجد الجماهير الغفيرة التي نزلت الى الشوارع والميادين فرصتها من أجل تحويلها الى واقع.

هذا هو عددنا الثاني من مجلتنا الفصلية (أوراق فلسطينية) يمثل خطوة تالية في مسيرتها على درب الحرية، وتواصل التزامها بقضايا الحرية للانسان في وطننا فلسطين الذي لا وطن لنا سواه، وقضايا الانسان في الوطن العربي.. وهيئة تحرير المجلة توجه دعوة للكتاب والمفكرين الفلسطينيين والعرب الى تعزيز وتعظيم ثقافة الحرية والمساهمة في اثراء المضمون الكفاحي والديمقراطي على صفحاتها.

# أوراق فلسطينية

